

# اسمُ الرَّحْمَنِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَشُبُهَاتُ الْمُسْتَشْرِقِينَ

\* سعاد يلدريم

إنَّ وجود بعض الميزات في إيراد اسم "الرحمن" بوصفه اسمًا من أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم لفت نظر المُختصّين منذ فترة، وبعض المستشرقين الذين لم يدرّكوا تلك الميزات والدلائل بعدم معرفتها حقًا أو التعامي عنها فاستنتجوا نتائج خاطئة ودلائل باطلة حول عقيدة الإله في القرآن الكريم.

زعم البعض منهم أنَّ هذه الكلمة ذات أصل عبري أو سرياني، وعليه توصيف الإسلام "الله" بهذه الصفة يرجع إلى أصل يهودي أو نصراني، ومعظم المستشرقين ابتدأً من غريمه H.Grimme ونولدكه Th. Noldeke إلى المعاصرين منهم ذهبوا إلى أنَّ هذا الوصف قد استعمل في فترة ما بين (٦١٦ - ٦٦١م)، أي في وقت محدد من نزول الوحي القرآني.

ومن ثمّ حاول البعض (انطلاقاً من الخطأ الذي سببته في الفقرات القادمة) أن يستنتاجوا نتائج دينية خطيرة، فمثلاً المستشرق جومييه Jomier. وهو راهب نصراني حاول

\* الأستاذ الدكتور سعاد يلدريم، محاضر بقسم الدراسات القرآنية والحديثية في كلية الإلهيات - جامعة إزمير. نشر هذا البحث في مجلة كلية العلوم الإسلامية التابعة بجامعة أنطالورك سنة ١٩٨٠. ونقله من التركية إلى العربية د. علي جيد أرن الأستاذ المساعد بجامعة الإسلامية العالمية - ماليريا سنة ١٩٩٨.

أن يجني ثمرة الأقاويل التي قيلت خلال قرن كامل حول هذا الاسم، مخصصاً له مقالاً في حوالي إحدى وعشرين صفحة عن هذا الموضوع<sup>١</sup>، وستناقشه في هذا البحث.

وخطورة هذه الدعایات الموجهة ضدّ الإسلام بحجة اسم "الرحمن" تفرض علينا التعرض إلى هذه المسألة بشيء من التفصيل، ونشير إلى أن الباحث الذي لا يتسع أكثر مما قدم المستشرون من البحث يضطر في آخر المطاف إلى قبول ما وصلوا إليه من نتائج، لذلك على الباحثين المسلمين مسؤولية إظهار حقيقة الإسلام في الأوساط العالمية.

وستتناول في بحثنا معانٍ صفتية "الرحمن" و "الرحيم"، بعد ذكر مواضع استخدام مادة "ر - ح - م" في القرآن.

#### إبداد مادة "رحم" في القرآن الكريم

إن كلمة (رحم) مع تصارييفها بوصفها فعلاً وردت حوالي ثلاثين مرة في القرآن، والفاعل في كل مرة يعود إلى الله تصریحاً أو تقديرًا، ولا يعود الفاعل إلى البشر مطلقاً.

وكلمة (الرحمن) وردت أكثر من مائة مرة مجردة أو مضافة ومتعلقة بالله، في حين ورد مصدر "مرحمة" في آية واحدة (البلد: ١٧) وجاء لإظهار المناسبة بين الناس<sup>٢</sup>، وورد مصدر "رحم" في آية واحدة (الكهف: ٨١) على معنٍ "المرحمة" القائمة بين الناس، أما كلمة "الرحيم" من المصدر نفسه فوردت على شكل "أرحم" في أكثر من عشر آيات وكلمتا "الرحمن" "الرحيم" واسم التفضيل منهما "أرحم" وردت بوصفها صفة، ويأتي غالباً على معنى الشفقة والرحمة وخاصة إذا جاء على صيغة الفعل {هود: ٤٤، يوسف: ٥٣، الأعراف: ٢٣} وخلاصة القول أن الله ﷺ كتبَ على نفسه الرَّحْمَةَ {الأنعام: ١٢}، والرحمة على صيغة الاسم تعني "القرآن الكريم" يوسف: ١١١، النحل: ٨٩ "النعم الدنيوية والإحسان" الروم: ٣٣، هود: ٩، ومن جملتها الغيث (الأعراف: ٥٧)، و"النعم المعنوية كالثبوة" (هود: ٢٨، الكهف: ٦٥، فصلت: ٥٠)، و "الأجر الآخروي والجزاء" (الحديد: ٢٨).

<sup>١</sup> Massignon, Le nom divin al-Rahman dans le coran (Damascus: Melanges, 1957) 2/ 361-381.

<sup>٢</sup> يبدو أن استخدام كلمة "الرحمة" نسبة إلى الله، و "الرحمة" إلى الناس في اللغة التركية ليس صدفة.

ونعتقد أن هذه المعلومات الملخصة لادة "رحم" في القرآن تدل على سعة معانٍ هذه الكلمة في اللغة العربية، والقرآن على حد سواء.

معانٍ صفيي "الرحمن" و "الرحيم":

إن "الرحمن" و "الرحيم" صفتان اشتقتا من "الرحمة" على وزن فعالٍ وفعيلٍ، وهم من أفعال المبالغة من اسم الفاعل.<sup>٣</sup>

وكلمة الرحمن تفيد عند أكثر اللغويين معنى أعلى درجة من الرحيم<sup>٤</sup>. وذهب البعض إلى أن وزن فعالٍ يفيد الزيادة في الفعل وديعومته، وزن فعالٍ يفيد إثبات الفعل.<sup>٥</sup>

وكلمة الرحمة في اللغة تعني الرقة والإحسان<sup>٦</sup>، وحسب تعريف نقل عن الخطابي (ت ٣٨٨هـ / ٩٩٨م) فإن كلمة الرحمن بوصفها صفةً من صفات الله تعني شمولية رحمته سبحانه وتعالى على جميع أرزاق المخلوقات، ووسائل عيشهم، ومنافعهم سواء كانوا مؤمنين أم كفاراً.<sup>٧</sup>

والرحيم تفيد غالباً المعنى نفسه، ولكن هناك بعض الفروق الدقيقة بين هاتين الصفتين، فما دام الله سبحانه وصف نفسه بهاتين الصفتين معاً في سورة الفاتحة والبقرة والحضر وجب التفريق بينهما.

<sup>٣</sup> الألوسي: روح المعاني (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت ١٥٩).

<sup>٤</sup> ابن حجر الطبرى، جامع البيان عن تأويل آى القرآن، تحقيق محمد شاكر (مصر، د. ط، ١٩٥٥م) ١٢٦/١ -

<sup>٥</sup> وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (القاهرة: دار الشعب، ١٩٧١م) ٣٥/١.

<sup>٦</sup> الألوسي، ٦١/١، عن الجويني (ت ٤٧٨هـ: ١٠٨٥م).

<sup>٧</sup> الراغب الأصفهانى، المفردات (مصر: مطبعة البابى الخلى، د. ط، ١٩٦١م) ص ١٩١.

<sup>٨</sup> البيهقي، كتاب الأسماء والصفات (بيروت: دار إحياء التراث العربي) ص ٥٢، نقلًا عن الخطابي، وتعريف آخر لهذا الاسم يتصف بمصطلحات علم الكلام نقل عن الحليمي (ت ٤٠٣هـ: ٤٠٢م): "إنه مزيع للعلل، وذلك أنه لما أراد من الجن والإنس أن يعبدوه - يعني لما أراد أن يأمر من شاء منهم بعبادته - عرّفهم وجوه العبادات، وبين لهم حدودها وشروطها، وخلق لهم مدارك ومشاعر قوى وجوارح، فخاطبهم وكلفهم، وبشرهم وأنذرهم، وأمهلهم وحملهم دون ما تسع له بيتهم، فصارت العلل مزاحمة، وحجج العصاة والمتصرين منقطعة". وقال في معنى الرحيم: "إنه المثيب على العمل فلا يضيع لعامل عملاً ولا يهدى لساع سعيًا، وبنيله بفضل رحمته من الثواب

أضعاف عمله". ص ٤٩ - ٥٠.

وسعى معظم العلماء لإظهار هذه الفروق، وترك الفروق الدقيقة إلى مراجعتها المعنية ونحاول أن نثبت الفروق التي وردت في القرآن وحده<sup>٨</sup>، ونشرير كذلك إلى أن أصل الفروق المذكورة يعود إلى الذوق والاصطلاح الذي جاء متأخراً عن اللغة.

وقد تفرق استخدام هذين الاسمين في القرآن الكريم على النقاط الآتية:

أ - الرحمن بوصفه الصفة الغالبة هو اسم العلم الثاني للألوهية<sup>٩</sup> مثل ﴿وَعَبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَ نَاهٌ﴾ {الفرقان: ٦٣}، وهذا ما يرد غالباً في العموم، وأما إيراده بوصفه صفة فنادر جداً، بينما الرحيم يرد دائماً في وصف لفظ الجملة "الله" باستثناء (يسـ: ٥، الشعراء: ٢١٧).

ب - إن (الرحمن) يأتي معرفاً دائماً بينما الرحيم في الغالب يأتي نكرة.

ج - إن (الرحمن) لم يرد وصفاً للإنسان لا في القرآن الكريم ولا في اللغة العربية<sup>١٠</sup>، فهي صفة الله فقط، بينما الرحيم في إحدى الآيات وصف للرسول ﷺ (التوبه: ١٢٨).

د - إن (الرحمن) لا يتعدى بحرف الجر ولا يعمل عمل الفعل، بينما يختلف الأمر في الرحيم، فيتعدى بحرف الجر ويتعلق بمعنى الرحمة، مثل ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ {الإسراء: ٦٦}، و ﴿كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ {الأحزاب: ٤٣}، ولم يرد تعبير مثل: رحمن بهم.

بناءً على هذا الاستخدام والدلالة العامة لوزن فعلان في اللغة العربية (حيث إن هذا الوزن يعني من فعل لازم ولا يتعدى، عموماً)، قد يفهم من اسم الرحمن:

<sup>٨</sup> ترد هذه الفروق غالباً في مقدمة كل تفسير أثناء تفسير البسمة، ونكتفي بذكر التفاسير الآتية على سبيل المثال: الطبرى: ١ / ١٣٤ - ١٢٦ . الألوسي: ١ / ٥٨ - ٦٣ . حمدى يازير. حق ديني قرآن دليلي (استانبول ١٩٣٥) / ١ - ٣٣ .

<sup>٩</sup> إن أسماء الله في الحقيقة صفات له ، حيث إن إسناد أسماء الله الحسنى كلها إلى الله يدل على ذلك، مثل: الله غفور، ﴿غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾، لذلك لا نرى مانعاً من أن يقال في حقها اسم، وصفة أحياناً.

<sup>١٠</sup> إن ما نقل في بيت شعر قيل في حق مسلمة: "ما زلت رحманا"، استثناء وليس إلا وصفاً لم يتملقه، وأيضاً لم يعرف بالآلف واللام الذي يفيد الإطلاق.

"الموصوف بالرحمة"، ومن اسم الرحيم: "الذي يرحم غيره برحمته"، والقول المروي عن ابن عباس يؤيد هذا حيث يقول: "الرحمن يعني الرقيق، فالرحيم الذي يظهر شفقته في إرزاق المخلوقين".<sup>١١</sup>

وصف "الرحمن" لفظ عربي: هناك اتفاق منذ عهد الصحابة على أن كلمة الرحمن مشتقة من الرحمة مثل الرحيم<sup>١٢</sup>، وكل الدلالات تبيّن أنَّ كلمة الرحمن كلمة عربية، (تصاريف الفعل وأنواع المصدر والاسم واستعماله في العصر الجاهلي).

واللith تلميذ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ - ٧٩١ م)، وأبو عبيدة (ت ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م)، والزجاج (٩٢٣ - ٥٣٣)، يصرحون بأن اشتقاق هاتين الصفتين من أصل كلمة الرحمة.

ومع هذا، هناك من زعم منذ القدم أنَّ كلمة "الرحمن" غير عربية أمثال المنذري الذي زعم أنَّ كلمة الرحمن من أصل عربي<sup>١٣</sup>، مستندًا إلى استعمال الشاعر جرير (يحتمل أن يكون الشاعر الأموي الشهير والذي توفي سنة ١١٤ هـ / ٧٣٣ م)، وحكى ابن الأنباري في الراهن عن المرد أن الرحمن اسم عبراني ليس بعربي.

وقد تكون هناك ثلاثة أسباب دفعت إلى نفي الأصل العربي لكلمة الرحمن:

١ - الآية القرآنية ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِرَحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادُهُمْ تُفُورًا﴾ {الفرقان: ٦٠}.

٢ - عندما اعترضت قريش على كتابة "بسم الله الرحمن الرحيم" في مستهل الاتفاقية التي كتبت أثناء هدنة الحديبية قال مندوهم سهيل: لا أعرف الرحمن.<sup>١٤</sup>

<sup>١١</sup> الأزهري، فحذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون (مصر، ١٩٦٤-١٩٦٧) / ٥٥٠. وقارن الآلوسي، ١٦١، ومحمد عبده ورشيد رضا، تفسير النار (القاهرة: ط٤، ١٣٧٩ هـ، ١٩٦٠) / ٤٨٠.

<sup>١٢</sup> البيهقي، المراجع السابق، ص ٥٠، عن الخطاطي.

<sup>١٣</sup> الأزهري، ٥٠-٤٩: ٥٠. وتفسير ابن كثير، تفسير سورة الفاتحة.

<sup>١٤</sup> البخاري، شروط الباب التاسع، وفي رواية في "وكالة" في الباب الثاني ينقل البخاري حادثة ثبتت عصبية أهل الشرك بعد أن سمي عبد الرحمن بن عوف نفسه بهذا الاسم بعد إسلامه. وفي رواية أحمد بن حنبل "لا أعرف" يعني "لا أعرف باسم الله الرحمن الرحيم" وهذا مما يدل على أنه كان علامة الإسلام ولذلك تم الاعتراض عليه. (المسندي، ٤/٨٦)، وانظر: ابن هشام، السيرة: ٢/٣١٧.

٣ - قد وجدت كلمة الرحمن في لغات سامية مثل العربية والسريانية والآرامية. ويبدو أن هناك من أساء فهم هذه الظاهرة، وطمعاً في تقليص شيء جديد نفى عن صفة "الرحمن" أصلها العربي.

تناول الآن الشّقين الأول والثاني معاً لارتباطهما:

إن الآية المذكورة وحادثة الحديبية لا تدلان على عدم معرفة المشركين لمعنى اسم الرحمن، وكان السبب في عدم اعترافهم هو توصيف الإسلام الله جل جلاله بهذا الاسم إلى جانب أسمائه الأخرى، وتسبّحه لهذا الوصف في البسملة بوصفه شعاراً للإسلام، ولم يكن لهم امتناع على اتصاف الله بالرحمة أصلاً، وهناك أمثلة كثيرة من التاريخ على رد فعل الجماعة في مثل هذه المواقف.

"البعل" مثلاً، كان أحد أوصاف الإله في العهد القديم، وهو كلمة عبرية، ولما حضر بنو إسرائيل إلى كنعان وجدوا الكنعانيين يسمون آهتهم "بعلاً"، فاعتبروا تسمية الإله بهذا الاسم علامة للشرك، وهي بنو إسرائيل هنّياً باتاً عن استعمال هذا الاسم، وتوجد تفاصيل هذا المجموع على البعل في مسرح "الكارمل" المشهور في العهد القديم<sup>١٥</sup>، ويزيل اسم "ياهو" اسم (البعل) مع أن (البعل) كلمة عبرانية. ويقول المصلح لوتيهر في كتابه: أنا عدو الله، والحال أن الله في عقيدته اسم للألوهية في دين آخر (الإسلام)، ولكنه كان يظهر عداه للإسلام هكذا.

والغربيون الذين ترجموا القرآن إلى لغاتهم، وضعوا اسم الله بالعبرية وليس بما يقابلها في لغتهم من علم الألوهية، وقد يسر بعض السذج من المسلمين بهذا معتقدين أنها علامة احترام لنا، ولكن لا ينظر أحد من الغربيين إلى القضية بهذه الصورة، فغاياتهم من استعمال لفظ "الله" هو التأكيد على أن المسلمين لا يؤمنون بالإله الحق، بل يؤمنون بإله الشرك، بإله قبيلة معينة.

وقد أصر بعض علماء المسلمين على استعمال اسم العلم للإله الحق في كل لغة لترجمة لفظ الجلالة، وأول من استخدم كلمة Dieu في الستينيات بدلاً من لفظ الجلالة في ترجمات معاني القرآن من الغربيين هي D.Masson واعتبر هذا أمراً عظيماً.<sup>١٦</sup>

<sup>١٥</sup> العهد القديم، سفر الملوك الأول، ١٨، ٤٦-٢١.

<sup>١٦</sup> Youakim moubarak, Les Musulmans (Paris: Beauchesne) 1971, P. 16-17.

ونذكر أخيراً رد فعل نفسية المجتمع التركي حول قضية شبيهة، إن الكلمة الوحيدة التي تفید معنی الألوهية في اللغة التركية هي كلمة "تازى - Tanri" ولا مانع من استخدام هذه الكلمة بدل لفظ الجلالة أصلًا كما صرَّح بذلك بعض العلماء<sup>١٧</sup>، وقد كان الأتراك قبل الإسلام في اعتقادهم الباطل يسمون الإله العظيم "إله السماء" بتازى، وتبناوا بعد الإسلام كلمة "الله" لوصف العبود الحق تاركين كلمة تازى تجنبًا لذكرى الشرك، ونرى أن هذه القضية أساساً في علم النفس الاجتماعي، حيث إن هناك من الأتراك من ينفر من استخدام هذه الكلمة مع كون جنسيتهم تركية، وهناك جمّ غفير من الأتراك يتظاهرون بعدم معرفة هذه الكلمة.

والآن لا يصح زعم من نفي الأصل التركي لكلمة تازى استناداً إلى الواقع الذي قدمناه، وكذلك لا يصح زعم من نفي الأصل العربي لكلمة (الرحمن) بسبب عدم اعتراف مشركي العرب بها، إذ مقاومة قريش لاسم الرحمن لم يكن يعني أنه ليس عربياً. وهذا تترلزل أهم مستندات أكثرية المستشرقين عن هذه القضية، ويورد الطبرى

(٩٢٣-٩٣٠هـ) كلمة حادة في حق من ذهب إلى هذا الحكم الخاطئ فقال: "قد زعم بعض أهل الغباء أن العرب كانت لا تعرف الرحمن، ولم يكن ذلك في لغتها ولذلك قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم (وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا) إنكاراً منهم لهذا الاسم، كأنه كان محالاً عنده أن ينكر أهل الشرك ما كانوا عالين بصحته أو كأنه لم يتل من كتاب الله قوله ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُم﴾ وهم مع ذلك به مكذبون ولنبوته جاحدون، فيعلم بذلك أنهم كانوا يدافعون حقيقة عن ما قد ثبت عندهم صحته واستحکمت لديهم معرفته".<sup>١٨</sup>

ويستشهد الطبرى بالشعر الجاهلي على استعمال العرب لهذا الاسم.

ووجود كلمة الرحمن في اللغات السامية الأخرى كما سبق ذكره في الفقرة ٣، لا يمنع من وجود اللفظ نفسه أو ما يشبهه من الألفاظ في لغات تنتمي إلى الفصيلة

<sup>١٧</sup> يرى الألوسي في تفسير الآية ١٨٠ من سورة الأعراف أنه لا مانع من استعمال اسم العلم للألوهية في اللغات غير العربية وإطلاقه لا يؤدي إلى أي خلاف، ويصرح فيه بالفاظ: خدا و تازى، باللغتين الفارسية والتركية، تفسير الألوسي، ١٢١: ٩.

<sup>١٨</sup> الطبرى، ١٣١/١.

نفسها، ولا يمكن غالباً معرفة من أخذ هذه الكلمة من الآخر بسبب مجئها من الفصيلة نفسها، ويجوز أنها منقولة من العربية إلى غيرها من اللغات، كما أنه لا يمكن كشف ذلك الأثر التائه في ظلام التاريخ.

وكذلك لا يجوز استبطاط الأحكام المهمة بالاستناد إلى المزاعم التي لا تعتمد على الأدلة، المهم هو ما يحمله كل قوم من معانٍ للكلمات التي يستعملونها في لغتهم، وليس وجود الكلمات نفسها أو ما يشبهها في لغات أقوام من الفصيلة نفسها، والحال أن مشابهة الألفاظ لا تلزم تحويل المعنى نفسه للألفاظ نفسها، والأمثلة على ذلك كثيرة في الماضي والحاضر وفي عدة لغات.

ثم أليس من العقول والنشر أن نفكّر في مثل هذه المواقف كالتالي:  
ألا تقدم هذه الظاهرة الموجودة في الأمكنة المختلفة التراث المشترك لهذه الأقوام المستمية إلى فصيلة واحدة. أوّلاًً يمكن بقاء ظاهرة تراث مشترك من زمن سيدنا إبراهيم عليه السلام؟، إذ الأصل هو أن اسم الرحمن كلمة عربية، وكان موجوداً في العربية قبل الوحي القرآني بكثير، ولو كانت قضية ادعاء أصول أجنبية لاسم الرحمن قضية عفا عنها الزمان لكن عرضها لا قيمة له، ولكن هذا الرعم تردد بكثرة في القرن الأخير.<sup>١٩</sup>

ولو لم يستخدم هذا الرعم بوصفه سلّماً يصل إلى الشبهات حول الإسلام لما كان ينبغي الوقوف عنده، بل أراد بعض المستشرقين استنتاج بعض النتائج الخطيرة من

١٩ إن بعض المستشرقين الذين زعموا هذا:

M. GuadefroY- Demombynes, Sur quelques noms d'Allah dans le Coran, Ecole pratique des Hautes Etudes (Sec. des Sciences Religieuses) 1929-1930, p.1-21; Ryckmans, Les Religions desarabes pre islamiques, o 2nd ed, Louvain, 1951, p.47; J. Jomier. P. 362.

ينسب هذا الرعم إلى بعض المستشرقين مثل بلاشير وبييل هو نفسه إليه كذلك.

Macdonald (مستنداً إلى ) Wzkm، x، 285, Muller and Mardmann  
Moubarac, Y. Les noms titres, et attributs de dieu dans le Coran et leurs correspondants en epigraphie sud-sémitiques, Le Museon, 67 (1954) p.103; L. Gardet Encycl. of Islam (n.ed) I. 418.

وانظر للمستشرقين الآخرين الذين أثاروا هذا الادعاء في كتاب: تاريخ العرب قبل الإسلام جلواد علي، بغداد: 1375

V. 145-156، وكندا، p.188-189. وكذلك انظر إلى أسماء المستشرقين الذين ذكروا هذا الموضوع.

استخدام القرآن لهذه الكلمة. وبعد أن نعرض خصائص وصف الرحمن في القرآن الكريم ستتناول هذه المزاعم.

### إبداء وصف الرحمن في القرآن الكريم

١. ذكر وصف الرحمن في القرآن الكريم سبعاً وخمسين مرة<sup>٢٠</sup>، وكان مُعرِّفًا بالآلف واللام علماً للألوهية، ومن ناحية الإعراب فقد ورد كثيراً بوصفه صفةً، ولا يُعدُّ استثناءً، كما في هذه الآيات الست الآتية: الفاتحة: ١ و ٣، البقرة: ١٦٣، النحل: ٣٠، النبأ: ٣٧، الحشر: ٢٢.

٢. حسب الرواية الإسلامية المشهورة التي ترتب سور القرآن الكريم مرتبة حسب الترول، فإن اسم (الرحمن) ورد في كل مرحلة من مراحل الوحي (وذلك إن لم نعد البسملة، إذ هناك أقوال في اعتبارها آية من كل سورة أو لا).<sup>٢١</sup>

٣. إن المواقع التي مرّ ورد فيها اسم (الرحمن) يتواافق مع ما يحمله هذا الوصف من معانٍ للإحسان والرحمة، وتناول هذه المواقع لإبراز هذه الموافقة أمر يطول في هذا المقال.<sup>٢٢</sup>

٤٠ نذكر الأماكن التي مرّ بها هذا الاسم حسب النزول:

العهد المكي: الفاتحة: ١ و ٣، الرحمن: ١، ق: ٣٣، يس: ١١ و ١٥ و ٢٣ و ٥٢ و ٥٩ و ٦٠ و ٦٣، مريم: ١٨ و ٢٦ و ٤٤ و ٤٥ و ٥٨ و ٦١ و ٦٩ و ٧٥ و ٧٨ و ٨٥ و ٨٧ و ٨٨ و ٩١ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٦ و ٩٧، ط: ٥ و ٩٠ و ١٠٨ و ١٠٩، الشعراء: ٥، النمل: ٣٠، الإسراء: ١١٠، الزخرف: ١٧ و ١٩ و ٢٠ و ٣٣ و ٤٥ و ٤٣ و ٤٣ و ٢٦، الملك: ٣ و ١٩ و ٢٠ و ٢٩، النبأ: ٣٧، الرعد: ٣٠، الأنبياء: ٢٦ و ٣٦ و ٤٣ و ٤٣ و ١١٢، البقرة: ١٦٣، الحشر: ٢٢.

العهد المدني: البقرة: ١٦٣، الحشر: ٢٢.

٤١ انظر لهذه الرواية الإسلامية عند: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (القاهرة: الحلبي، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م)، ١٩٣-١٩٤.

٤٢ والسيوطى، الإنقان في علوم القرآن (القاهرة: الحلبي، ط: ٣، ١٣٧٠هـ-١٩٥١م)، ١٠-١١، حميد الله: Le Saint Coran، باريس: ١٩٦٣م، يراعي هذا الترتيب أثناء ذكره الترتيب النزولي على رأس كل سورة في ترجمة معاني القرآن إلى الفرنسية. إسماعيل جراح أوغلو: أصول التفسير (أنقرة: ١٩٧١)، ص ٨٣-٨٥.

٤٣ إن هذه الموافقة معترف بها من قبل جوميه Jomier الذي بحث هذا الموضوع في دراسته كثيرة، (المقال السابق، ص ٣٦٤).

فتحيل الموضوع إلى التفاسير ونقف الآن عند بعض الآيات التي فيها تناسب حفي:  
﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بِلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ﴾،  
يقول ابن كثير (ت ١٣٧٤هـ / ١٢٧٣م) في تفسير هذه الآية: ثم ذكر تعالى نعمته على  
عيده في حفظه لهم بالليل والنهار وكلاعاته وحراسته لهم بعينه التي لا تنام فقال: ﴿قُلْ  
مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾، ويفسر ابن كثير هنا حرف "من" بمعنى  
"غير" ويستشهد لهذا التفسير بالشعر القدس<sup>٢٣</sup>، ويقول في تفسير ختام الآية: إنهم لا  
يعترفون بنعم الله عليهم وإحسانه إليهم، بل يعرضون عن آياته وآلاءه.

أما الألوسي (ت ١٢١٧هـ / ١٨٥٤م) فيجد التوافق بين محتوى الآية وبين اسم  
الرحمن قائلاً: أمر له صلى الله عليه وسلم أن يسأل أولئك المستهزئين سؤال تقرير  
وتبيه كيلا يغتروا بما غشيم من نعم الله تعالى ويقول ﴿مَنْ يَكْلُؤُكُمْ﴾ أي  
يحفظكم... وتندم لهم حيث عذبهم من غلبت رحمته، ودلالة على شدة حبthem.  
وينقل القرآن أن إبراهيم عليه السلام الذي قال عنه إلهه ﴿لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنْبِّهٌ﴾  
{هود: ٥٧} قال لأبيه ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسِكَ عَذَابًا مِّنَ الرَّحْمَنِ﴾ {مريم:  
٤٥}، وكان رد إبراهيم عليه السلام على أبيه حين أعرض عن دعوته وأخبره أنه  
سيرجمه إن لم ينته قائلاً: ﴿سَأَسْتَعْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ {مريم: ٤٧}.

وإبراهيم الذي هو مثال الرحمة واللطف يوصي أباه في أسلوب متلطف بأن  
يترك الشرك والكفر، وبخطاب سجل القرآن لطفة وأخلاقه، وإن كان قصده من  
الكلام هو الإرشاد ومخاطبة أبيه فبطبيعة الحال كل لفظ صدر عنه كان بتوجيهه إلهي  
فجاء حاملاً دلائل كثيرة، فلفظ "يا أب" يرشح شفقةً ولطفاً، و"الخوف" توقع  
مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة فهو غير مقطوع فيه بما يخاف<sup>٤</sup>، و"المس" في  
العربية يفيد اللمس الخفيف، و"العذاب" كذلك من بين مرادفاتة الكمال والعقاب

<sup>٢٣</sup> ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ٥ / ٣٣٨، ويدرك محققا الكتاب أن الشاعر هو الراجز أبو نحيلة يعمور،  
وأن بيت الشعر ورد في المصادر الآتية: الشعر والشعراء، ٦٠٢، الجوالبيقي، المعرب، ٢٨٦، لسان العرب في مادة  
فستق، معنى الليب ٣٥٥.

<sup>٤</sup> الألوسي، ٩٧ / ١٦

٤ اسم "الرَّحْمَن" في القرآن الكريم وشُبهات المستشرقين بحوث ودراسات وغيرها من أنواع العذاب يفيد درجة خفيفة منها<sup>٢٥</sup>، والتنوين في "عذاب" يفيد التقليل في مثل هذه الموضع.<sup>٢٦</sup> و"الرحمن" صفة تفيد كثرة رحمته، إذا اختيرت كل هذه الكلمات لأداء مهام الإنذار في أسلوب تلطف.

لأجل ذلك كان اسم الرحمن مناسباً جداً في هذا المقام، ولو لخصنا جميع هذه المعاني نستطيع أن نقول في معنى الآية: "يا أبْتَ إِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ أَنْ يَمْسِكَ الْعَذَابَ حَتَّىٰ مَنْ هُوَ مُتَصَّفٌ بِالرَّحْمَةِ" والله أعلم.

﴿أَتَّخَذُ مِنْ دُونِهِ آلَهَةً إِنْ يُرِدُنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونِ﴾ {يس: ٢٣}.

قد توهم هذه الآية كذلك عدم تناسب عبارة الرحمن مع الضر، ويقال في دفع هذا الوهم: إن الله في الواقع ذو رحمة واسعة، ولا يريد أن يضر. وأداة "إن" تدل على التشكيك وتقابلا لها أداة إذا الدالة على التتحقق، ومن هنا لم تستخدم إذا مع اسم الرحمن في مثل هذا السياق فقط، ويكون المعنى: "بالرغم من هذا إن أراد أن يضرني بشيء هل تغنى عني شفاعتهم، أينفعوني". إذاً نستطيع أن نقول إن ذكر اسم الرحمن مناسب للسياق حتى في الموضع التي قد يظن أنّه غير موافق.

٤. إن القرآن لم يهمل لفظ الجلالة "الله" أثناء ذكره الرحمن، ويرد كلاً الاسمين أحياناً في الآية الواحدة، وينبغي ألاً تفوتنا هذه النقطة المهمة، فمثلاً قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ ... إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكْيًا﴾ {مريم: ٥٨}، وكذلك في النمل: ٣٠ ذكر هذان الاسمان معاً، وفي الملك: ٢٨ - ٢٩، الرعد: ٣٠ - ٣١، والفرقان: ٦٣ - ٦٨، والبقرة: ١٦٣ - ١٦٥، في كلها ذكراً معاً.

وكذلك على حسب الترتيب الزمني للنزول، فإن سورة الفاتحة هي السورة الخامسة من القرآن. وفي هذه السورة يرد اسم "الرحمن" صفة الله في الآيات الثلاث الأولى، وأول

<sup>٢٥</sup> قارن: الراغب: المفردات، ص ٣٢٧ / ٢. والألوسي: ١٣٧. وأصل العذاب المع، تاج العروس، الزبيدي، مادة عذب، ٣٦٩ / ١.

<sup>٢٦</sup> الألوسي: ٩٨ / ١٦.

ما سمى الله ذاته بهذا الاسم جاء به بوصفه صفةً، وبعد أن اشتهرت دلالته لذات الباري ورد دون موصوف علماً، والآيات السنتين التي جاءت بوصفه صفةً والتي ذكرناها في المادة الأولى على حسب ترتيب نزول القرآن هي: ٥ (الفاتحة: ١ و ٣)، و ٤٨ (النمل: ٣٠)، و ٨٠ (النبا: ٣٧)، و ٨٧ (البقرة: ١٦٣)، و ١٠١ (الحشر: ٢٢).

ونظراً لهذا الاستعمال نستطيع أن نقول إن القرآن الكريم أراد أن يذكر بين حين وآخر - وطوال سير الوحي - : أن الرحمن صفة من الصفات الإلهية.

٥. الرحمن ليس الوصف الأول الذي ورد علماً للألوهية في القرآن، فالوصفات الآتية وردت كذلك علمًا لما علم أن موصوفها هو الله: رب العالمين (الواقعة: ٨٠، يونس: ٣٧، البقرة: ١٣١....)، إن هذا الوصف قد ورد في ٢٧ آية اسمًا للألوهية ونادرًا ما ورد بوصفه صفةً أو خبرًا، العزيز الرحيم (فصلت: ٣٢)، الحي القيوم (طه: ١١١)، عالم الغيب والشهادة (التوبية: ٩٤ و ١٠٥، الجمعة: ٨)، حكيم خبير (هود: ١)، خبير (فاطر: ١٤) وأمثالها كثيرة.

٦. الفعل نفسه مثلاً في (الاستواء على العرش) أضيف في آية إلى الرحمن (طه: ٥)، وفي آية أخرى إلى الله (يونس: ٣) وأمثاله كثيرة، وهذا يدلّ على أن الفاعل هو نفس الذات في هذه الآيات.

٧. قد يعلل كثرة إيراد وصف الرحمن في مرحلة معينة من مراحل الوحي بأنه تعالى يذكر اتصافه بهذا الوصف الشامل لإعلام المميز للألوهية، وللتقرير هذه الصفة في الأذهان نزلت الآيات التي احتوت على هذا الاسم بكثرة في المرحلة الأولى، وأما في المراحل المتعاقبة لم يرد إلا للتذكير بهذه الصفة.

٨. إن تعريف الألوهية بالعلم والاسم الأشهر أي لفظ الجلالة "الله" أحياناً بما يدلّ على أوضح أوصافه مثل "الرب" و "الرحمن" و "رب العالمين" (مع موافقة تامة للسياق) أحياناً، لماذا لا يُعدُّ نوعاً من جمال الكتاب الذي من أبرز خصائصه البلاغة؟، ولم يكن تنوع الأسلوب خاصية يبحث عليها. الذوق الأدبي؟

٩. يزعم المستشرقون أن اسم الرحمن من علامات المرحلة المكية الثانية، لنقبل بتجاوزاً صحة هذا القول، ولكن نستطيع أن نقول إنَّ كثيراً من أسماء الله الحسنى المعينة قد وردت في مرحلة معينة من مراحل التنزيل، أنستحلص من هذا نتائج دينية

سقية؟، فمثلاً وصف "رب السموات والأرض" يرد في منتصف المرحلة المكية فقط، كما أن اسمي "التواب" و "العفو" لا يظهران إلا في السور المدنية.

١٠. إن لفظ الحلال "الله" علم للألوهية في الأحاديث النبوية عموماً. وإن لم يستقص استعمال أسماء الله الحسنى في الأحاديث النبوية إلا أنها نرى فيها إيراد أسماء "الرحمن" و "الرب" علماً من باب الصفات الغالبة<sup>٢٧</sup>، ولعل هذا يرجع إلى ذكر القرآن هذين الوصفين بكثرة، وإلى كثرة ذكر الرسول ﷺ لهذين الاسمين، واستمر المسلمين في ذكر هذين الوصفين بوصفهما علمين للألوهية طوال تاريخهم.

١١. إن القرآن الكريم ينهى عن التفضيل بين أسماء الله الحسنى فيقول: ﴿وَاللهُ أَكْبَرُ﴾ {طه: ٥}، ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيَاً مَا تَدْعُ فَلَهُ أَكْبَرُ﴾ {الإسراء: ١١٠}.

بعد أن عرضنا الخصائص المتعلقة بذكر اسم الرحمن في القرآن الكريم ننتقل الآن إلى ردّ زعم المستشرقين حول الموضوع نفسه.  
الادعاءات وردنا عليها:

على حسب زعم غريغ - H.Grimme (ت ١٩٤٢م) وثيودور نولدكه (ت ١٩٣٠) راج بين المستشرقين ادعاء يقول إن اسم الرحمن لم يظهر إلا في المرحلة المكية الثانية .<sup>٢٨</sup>

<sup>٢٧</sup> انظر في ورود اسم "الرحمن" في الأحاديث النبوية بهذا الشكل: البخاري: التوحيد ، أبو داود: الزكاة ، ٤٥ الدارمي: فضائل القرآن ، ١ / ٥.

<sup>٢٨</sup> انظر إلى بعض أصحاب هذا الزعم: بلاشير / ٣ ، ٧١٣ ، الخامس ، يرى المؤلف في الصفحة ٣٥٢ من المجزء الثاني من كتابه استثناءً واحداً فقط، مع ذلك يرجعه إلى المرحلة الثانية في أغلب الاحتمالات على حدّ .

M. Goadefroy Demombynes

رجس بلاشير (المقدمة)، ص ٢٥٥ ، نقاً عن دائرة المعارف الإسلامية، ٢ : ١١٣٧ . وجومبيه، المقال السابق، ص ٣٦٤ - ٣٧٨ ، ينسب جومبيه فكرة خصوصية اسم الرحمن للمرحلة المكية الثانية إلى عامة المستشرقين.

Chelhod, J. Note Sur l'emploi du mot rabb dans le Coran, Arabic vol. 5, 1958, p. 159-167.

قارن مع L.Gardet دائرة المعارف الإسلامية، مادة "الله" / ١ - ٤١٨

يرى ثيودور نولدكه في كتابه *Geschichte des Qorans* الذي ألفه سنة (١٨٦٠) أن هذه المرحلة تغطي المدة الزمنية ما بين (٦١٦ - ٦١٩) ويرى أن ٢١ سورة نزلت في هذه المرحلة، وهذه السور هي كالتالي:

القمر، الصافات، نوح، الإنسان، الدخان، ق، ط، الشعرا، الحجر، مريم، ص، يس، الزخرف، الجن، الملك، المؤمنون، الأنبياء، الفرقان، الإسراء، النمل، الكهف.

ويوافق بلاشير R. Blachere على ترتيب نولدكه بعد مرور مائة سنة تقريباً على ظهور القول بهذا الترتيب، مع بعض الفروق البسيطة وذلك في كتابه الذي يزعم أنه تناول السور حسب النزول.<sup>٢٩</sup>

إن تخصيص ورود صفة (الرحمن) بالمرحلة المكية الثانية مع الترتيب المذكور أصبح أمراً مسلماً به عند المستشرقين وذلك بسبب دراسات هذين الشخصين الذين يعتبران لدى المستشرقين أكبر المتخصصين في الدراسات القرآنية وآخرين من المستشرقين المعنيين بتاريخ القرآن، وهؤلاء جعلوا هذا الاسم مقاييساً في ترتيب بعض السور زمنياً لفرضياتهم المذكورة حول هذا الاسم.

ووضعوا بعض السور المتقدمة أو المتأخرة في تصنيفهم للمرحلة المكية الثانية في تلك المرحلة كذلك لاحتوائها اسم الرحمن، ويعتبر بعضهم القضية محكمة ويشرعون في استخلاص بعض النتائج منها، وهناك من زعم أن محمدًا عليه الصلاة والسلام قد تردد في تعين إله الدين الذي أسسه.

ويحاول جومييه Jomier إيصال الموضوع إلى أبعاد أخرى، ففي مقاله الذي ذكرناه في الصفحة الأولى في مقدمة بحثنا يستعمل بعض العبارات التي توحى بأنه

- إن R. Gaspar في كتاب لم يسمح النقل منه - وإن كان يذكر هذا التصنيف، إلا أنه يقول في مقاله الآخر "إن السور التي صفت في المراحلين الثانية والثالثة لكة أمر اتفاقى، وتخبيئ جداً" انظر مقاله:

La foi selon le Coran, proche-Orient Chretien, 18 (1968), p. 20-21.

بالرغم من هذا يقول "إن إله القرآن سمي نفسه في المرحلة المكية الأولى بالرب وفي المرحلة المكية الثانية بالرحمن وفي المرحلة المكية الثالثة والمرحلة المدينة بـ "الله"، ص ٢٣ من مقاله المذكور.

29 Le Coran Traduction selon un essai de reclassement des Sourates (Paris ١٩٥١، ١٩٤٩).

على حذر وإنه لا يطمئن إلى بعض الأamarات التي استدل بها، وبالرغم من هذا قال في فرضياته: "لا بد من وجود مذهب قبل الإسلام في الجزيرة العربية يسمى الإله بـ (الرحمن)، وأن يكون وطيد الصلة بالنصرانية"، ويفهم هذا من ربط بعض المفاهيم النصرانية بكلمة (الرحمن)، وقبل أن تتناول الملاحظات التي أبدتها لدعم رأيه هذا نذكر رأينا في المرض الذي أصاب المستشرقين، فمن أين يا ترى جاءت مطالعة الأسماء والصفات التي تصف الألوهية في القرآن وهواية استخلاص بعض النتائج منها؟

نظن أنه متعلق بانتقادات الكتاب المقدس، حيث إن النصرانية كانت تؤمن من القديم بأن الكتب السماوية السابقة لبني إسرائيل هي من وحي إلهي. وفي القرن السادس عشر تحرّرًا Carlstadt أن يسأل عن كيفية حكاية موسى عن وقت وفاته ودفنه بعد الوفاة، تلك الحكاية المذكورة في سفر التثنية، الإصلاح ٣٤ : ٥ - ١٢ .

وسيمون - R.Simon في كتابه (١٦٧٨) Histoire critique de Vieux Testament وقف عند التكرار المطول والحادف بالتناقضات في القصص التاريخية في التوراة، واستجرأ J. Astruc في كتابه الذي نشره عام ١٧٥٣ م بعنوان Conjonctures sur أن يتحدث عن كثرة الروايات، فمثلاً الإله في سفر التكوين تارة يسمى بـ "يهوا" وتارة أخرى بـ "إلوهيم" وهذا يدل على كون الروايتين ممزوجتين في السفر. وأيدت البحوث التي استمرت (أمثال Eichhorn، Ilgen) حتى نهاية القرن الثامن عشر هذه الفرضية، وفي سنة ١٨٥٤ ونتيجة للبحوث المستمرة أصبحت القضايا الآتية من الأمور المعترف بها لدى الجميع:

١. إن الوثيقة "يهويست - Yahvist" التي تذكر "يهوا" قد كتبت في القرن التاسع قبل الميلاد في منطقة يهودا.
٢. إن الوثيقة "إلوهيست - Elohist" التي تذكر "إلوهيم" قد كتبت في إسرائيل في تاريخ مقارب لتاريخ الوثيقة الأولى.
٣. إن كتاب "التثنية" قد كتب في القرن السابع أو الثامن قبل الميلاد.

٤. إن وثيقة رجال الدين المسمى بـ *Code Sacerdotal* والتي تتحدث عن تاريخ المقدس والقواعد الدينية والطقوسات قد كتبت في عهد التهجير - *Diaspora* أو بعده في القرن السادس قبل الميلاد.

والبحوث المقدمة الآن أيدت فكرة الروايات الأربع المكونة لنص التوراة الحالي، وبعد ١٨٥٤ م إلى الآن بدأ تصنيف الروايات الأربع الأساسية إلى الروايات الثنائية. والسلطات الدينية المعاصرة لا تُعدُّ التوراة الكتاب المقدس الذي كتبه موسى بنفسه على حد تعبيرهم، لأن قصبة التكوين، ونسب قايبيل، وقصبة الطوفان، والأحداث التي وقعت ليوسف عليه السلام، والأسماء المختلفة لشخص واحد واختلاف الأحداث في الموضوعات المهمة وأمثالها قد فشت ولم يعد بالإمكان إخفاءها بعد الانتقادات التاريخية الحديثة، مما اضطر علماء الlahوت المسيحيون في القرن الأخير لقبول هذا الواقع، ومع ذلك يقولون ويقولون إن الأخطاء ترجع إلى الكتاب الذين جمعوا تلك الروايات.<sup>٣٠</sup>

ولا ننسى أن هؤلاء الذين أدوا دوراً مهمًا في نقد العهد القديم أمثال ثيودور نولدكه - Th. Noldeke وفلهاوزن - J. Welhausen عمدو كذلك إلى دراسة تاريخ القرآن الكريم، وتبني بلاشير أثناء ترجمته سورة الرحمن تعليق فلهماوزن في ادعاء "الحفظ على الروايتين أثناء الجمع"<sup>٣١</sup>، ولم يفعل فلهماوزن شيئاً جديداً سوى أن طبق على القرآن نظريته عن الروايات المختلفة للتوراة، ولم يقدم فلهماوزن وأتباعه من منهج الاستنتاج إلا تطبيقاً فاشلاً لنظرية (أسماء الإله المختلفة) على القرآن الكريم، وذلك أثناء ترتيبهم سور حسب النزول جاعلين من وصف (الرحمن) اسم إله القرآن للمرحلة المكية الثانية.

---

٣٠ إن هذه المعلومات الوجيزة هي من الأمور المسلمة، وأصبحت اليوم معلومات موسوعية معترضة من قبل السلطات الدينية، انظر مثلاً:

Robert et Feuillet, *Introduction la Bible* (Paris: Desclée et Cie, 1959) p.p: 281-342. J. Dheilly *Dictionnaire biblique* (Tournai-Belgium: Desclée, 1964) p. 330-331.

٣١ بلاشير، ٢، ٧٤، وحسب زعمه فإن المقطعين من ٤٦ إلى ٦٠، ومن ٦٢ إلى ٧٨ من سورة الرحمن عبارة عن روایتين مختلفین ولما لم یجرأ جامعو النص القرآني أن یتركوا إحدى الروايتين أبقواها أثناء الجمع، وإثبات هذا الادعاء وضع بلاشير المقطعين جنباً إلى جنب وعلى عمودین مختلفین.

و كان من الطبيعي أنهم ما استطاعوا الحديث عن الروايات المختلفة والطبقات الأثرية: (couches) للقرآن الكريم، وعلى الرغم من هذا ظنوا أنهم يملكون حجة كهذه: "ما دام القرآن قد نزل خلال نيف وعشرين سنة منجماً فلا بدّ من وجود إشارات تومئ إلى الأشخاص والمراجع المختلفة التي استقى منها مؤلفه أثناء رسالته الطويلة!!".

ما كانت نتائجهم قطعية، وما استطاعوا هدم إحدى حقائق الإسلام، ووجد من يكشف التناقضات في تلك المحاولة حتى من بين المستشرقين أنفسهم، إذ لا يمكن لذكاء المستشرقين ومهاراتهم أن تخفي ما في ادعاءاتهم من ضعف وتناقض. وعتقد أن المعلومات التي ذكرناها حول استخدام اسم الرحمن في القرآن الكريم على إحدى عشرة مادة تكشف عدم صدق هذا الرزعم، وفيما يلي توضيح هذه المسألة.

تناولنا سابقاً على حسب الترتيب في الرواية الإسلامية المعايدة أن إبراد وصف الرحمن لا يختص بمرحلة معينة من مراحل نزول الوحي، بل يشاهد في كل مراحل الوحي (انظر إلى المادة الأولى والخامس ٢١)، والقول بنسبة هذا الاسم إلى النصرانية واليهودية، واتخاذ مسع النبي صلى الله عليه وسلم للفظة الرحمن عندما طلبت قريش ذلك لكراهيتها له ذريعة إلى القول بنفي الأصل العربي لكلمة الرحمن، كل هذا قول متهافت وغير مقبول.<sup>٣٢</sup>

وليس لأحد أن يدعي صحة ترتيب نولده وتابعه، والآيات التي تحتوي على اسم الرحمن والتي لم يكن في وسعهم إدخالها في المرحلة المكية الثانية لترتيبهم هي: سورة الرحمن: ١ - على ترتيب بلاشير - وهي في الدور الثامن والعشرين ، وأما نولده فإنه أدرجها في المرحلة المكية الثانية أولًا ثم تراجع وأدرجها في المرحلة المكية الأولى.<sup>٣٣</sup>

والآيات الأولى والثالثة من سورة الفاتحة وضعها بلاشير في الدور السادس والأربعين نحو نهاية المرحلة المكية الأولى، ويعتبرها نولده السورة الأخيرة لهذه المرحلة ويضعها في الدور الثامن والأربعين.

٣٢ انظر لهذا الادعاء:

M. Goudefroy- Demombynes, Mahomet (Paris: Albin Michel, 1969) p. 251.

٣٣ بلاشير: ٧٤ / ٢

وُذُكِرَ اسْمُ "الرَّحْمَن" فِي الْآيَتَيْنِ السَّابِعَةِ وَالثَّالِثَيْنِ وَالثَّامِنَةِ وَالثَّالِثَيْنِ مِنْ سُورَةِ النَّبَأِ، وَهُذَا فَالسُّورَةُ فِي نَظَرِ نُولَّدَكِهِ فِي الدُّورِ الثَّالِثِ وَالثَّالِثَيْنِ، وَفِي نَظَرِ بِلَاشِيرِ فِي الدُّورِ السَّادِسِ وَالثَّالِثَيْنِ، فَبِسَبِبِ وَرُودِ هَذَا الْاسْمِ فَقْطَ يَحِلُّونَ الْمَقْطُوعَ الَّذِي يَدِأْ بِهِذِهِ الْآيَةِ إِلَى نَهاِيَةِ السُّورَةِ (٣٧ - ٤٠) إِلَى مَرْحَلَةِ أُخْرَى.<sup>٣٤</sup>

وَلَيْسَ هُنَاكَ مَسْنَدٌ لِهَذَا التَّصْرِيفُ غَيْرُ الْحُكْمِ الْمُسْبِقِ لِأَنَّهُ لَوْ حُذِفَتِ الْآيَاتِانِ ٣٧ وَ٣٨ مِنْ هَذَا السِّيَاقِ الْمُحْتَوِي عَلَى آيَاتٍ قَصَّارٍ لَا يَكْتُمُ الْكَلَامُ، وَلَيْسَ هُنَاكَ عَذْرٌ "تَغْيِيرُ الْأَسْلَوبِ" أَوْ "تَغْيِيرُ الْفَوَاصِلِ" فِي السِّيَاقِ كَمَا يَدْعُونَ فِي الْمَقَاطِعِ الْأُخْرَى.

وَنَأْتَى الآنُ إِلَى إِبْرَادِ هَذَا الْاسْمِ بَعْدَ الْمَرْحَلَةِ الْمُكَيَّةِ الثَّانِيَةِ:

وَرَدَتْ كَلْمَةُ الرَّحْمَنِ فِي الْآيَةِ ١٣ مِنْ سُورَةِ الرَّعْدِ، وَيُرْتَبُ نُولَّدَكِهِ هَذِهِ السُّورَةُ فِي الدُّورِ التَّسْعِينِ، بَيْنَمَا يَرْتَبُهَا بِلَاشِيرِ فِي الدُّورِ الثَّانِيِّ وَالْتَّسْعِينِ لِلْمَرْحَلَةِ الْمُكَيَّةِ الثَّالِثَةِ وَالْأُخْرِيَّةِ، وَيَنْتَبِهُ بِلَاشِيرِ إِلَى إِشْكَالِيَّةِ وَرُودِ اسْمِ الرَّحْمَنِ فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ فَيَعُودُ إِلَى إِدْخَالِهِ قَبْلَ هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ<sup>٣٥</sup>، وَلَكِنْ بِأَيِّ حَجَّةٍ؟ لَا يَذْكُرُ بِلَاشِيرِ السَّبْبِ، وَبَدْلُ مُجَاهَدَةِ إِلَيْهِ إِشْكَالَ يَفْضُلُ التَّمْلُصَ!

وَالْآيَةُ ١٦٣ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَالْآيَةُ ٢٢ مِنْ سُورَةِ الْحُسْنِ يُعْتَرَفُ بِهِمَا بِالْحَضْرَوْرَةِ فِي الْمَرْحَلَةِ الْمَدِينَيَّةِ، وَلَا يَكُونُ فِي وَسْعِهِمَا إِلَّا أَنْ يَدْخُلَا الْآيَتَيْنِ فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ، وَكَذَلِكَ الْآيَاتُ مِنْ ٦٣ إِلَى آخرِ سُورَةِ الْفَرْقَانِ يَضْعُفُهَا بِلَاشِيرِ فِي الْمَرْحَلَةِ الْمَدِينَيَّةِ مَعَ أَنَّهُ يَصْنُفُ سُورَةَ الْفَرْقَانِ فِي الْمَرْحَلَةِ الْمُكَيَّةِ الثَّانِيَةِ بِحَجَّةِ اخْتِلَافِ الْفَوَاصِلِ وَالْمُحْتَوِيِّ.<sup>٣٦</sup>

وَالْمَقْطُوعُ الَّذِي وَصَفَهُ جُوْمِيَّهُ - "عِبَادُ الرَّحْمَنِ الْمَشْهُورُ" (الْآيَةُ ٦٣) مُعْتَدِلًا إِيَّاهُ الْبَرْنَامِجُ الْجَمْلُ لِلَّدِينِ الْإِسْلَامِيِّ النَّاشِئِ، يَقُولُ بِعِرْضِهِ وَكَأَنَّهُ مِنْ الْمَرْحَلَةِ الْمُكَيَّةِ، وَيَتَعَامِلُ عَنِ الإِشْكَالِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ بِلَاشِيرِ مَعَ أَنَّ جُوْمِيَّهُ عَادَةً مَا يَتَبعُ

<sup>٣٤</sup> المرجع السابق، ٢/٦٩.

<sup>٣٥</sup> بلاشير: ٣/٧١٣، المامش ٢٩، ٢٥٢: ٢٩، المامش ٤.

<sup>٣٦</sup> المرجع السابق، ٢/٣١٢.

بلاشير في ترتيب سور القرآن الكريم، إذاً فكيف يستطيع بلاشير ومعه معظم المستشرقين الذين قلدوه في ترتيب السور القرآنية زمنياً أن يحكموا على ارتباط اسم الرحمن بالمرحلة المكية الثانية؟<sup>٣٧</sup>

إن أسمى الله والرحمن ورد أحياناً كثيرة في الآية الواحدة أو في الكلام الذي يفيد المعنى التام، بعضها من آيات وسور المرحلة المكية الثانية.

ونختتم هذه الملاحظات التي يتعامي عنها المستشرقون عمداً بتسجيل الإحصاء الآتي: على الرغم من ورود اسم الرحمن في القرآن كله ٥٧ مرة نجد أن لفظ الحلاله "الله" ورد ١٤٣ مرة في المرحلة المكية الثانية فقط، وهذا الإحصاء تم من قبل Chelhod الذي اعتمد على ترتيب بلاشير.<sup>٣٨</sup>

ونعود إلى ملاحظات جومييه: إن الاستدلالات التي استند إليها بشأن ورود اسم الرحمن في المرحلة المكية الثانية قد سقطت وأبطلت بما قدمنا من الأدلة آنفاً، وإن زعم إيراد هذا الاسم علماً لإله آخر تم بطلانه بالأدلة التي ذكرناها في الفقرات ١ و ٥ و ٦. ومثلما لم يرد اسم الرحمن في حق المخلوقين لم ترد أسماء أخرى لله كذلك، مثل "الخالق والرزاق والوهاب والوكيل والغفور.... الخ"، ولم يقترن اسم الرحمن غالباً مع أسماء الله الأخرى، وكذلك أسماء أخرى لله لم تقترن بغيرها مثل "الوكيل والشهيد والمحيط".

وخلالاً لما يدعوه جومييه من أنَّ ورود اسم الرحمن ارتبط بذكر أهل الكتاب، فلا دليل على هذا الأمر في الآيات الآتية: الفرقان: ٦، يس: ١١، الزخرف: ١٧، ١٩، ٢٠، ٣٣، ٣٦، ق: ٣٣.

إن فكرة الوحي وإن كانت متعلقة باسم الرحمن أحياناً فإنها في مواضع كثيرة لا تخصى مرتبطة باسم الله مثل: الزمر: ٢٣ والإسراء: ٩ والنحل: ٢ غافر: ١٠١ والأنعم: ٩١ و٩٣ و١١٤، لا تشكل واحداً من مجموع أربعين من المشار إليها، وإن

٣٧ المرجع السابق، ٣، الخامس ٢٩. وجومييه "Jomier" في مقاله السابق، ص ٣٦٤، ٣٧٨. و Chelhod في مقاله السابق، ص ٢٣.

٣٨ Chelhod ، المقال السابق، انظر إلى الورقة في الصفحة ١٦٢.

مفاهيم مثل "خلق الله في ستة أيام" و "السموات السبع" و "العرش" وأمثالها من "مفاهيم اليهودية والنصرانية" وإن كانت مرتبطة باسم الرحمن نادراً، فإنها مرتبطبة بلفظة الله في مواضع أخرى كثيرة.

تضاف "خلق الله في ستة أيام" في الآيات الأربع: ٥٤، يوئيل: ٣، السجدة: ٤، و "السموات السبع" في الإسراء: ٤٤، البقرة: ٢٩، و "العرش" في المؤمنون: ١١٦، النمل: ٢٦ إلى الله. نذكر هذه على سبيل المثال فقط.

وليس من الضروري كذلك إثبات اسم الرحمن في إطار ذكر أهل الكتاب أمثال ﴿...فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأطِيعُوهُنَّ \* إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ {الزخرف: ٦٣-٦٤} على لسان عيسى عليه السلام، ليس قليلاً. وإن كانت الموضوعات الأخروية أمثال "الصور" و "جهنم" و "جنت عدن" في بعض السور قد وردت جنباً إلى جنب مرتبطة باسم الرحمن، فإن الموضع التي لها علاقة بكلمة الله أكثر منها فمثلاً "الصور": الأنعام: ٧٣، النمل: ٨٧، ق: ٢١، و "جهنم": ١ الإسراء: ٣٩، الأنبياء: ٩٨، الجن: ٢٣، و "جنت عدن": الرعد: ٢٣، التحل: ٣١، الكهف: ٣١ وأمثالها.

يهم جومييه بالآيات التي تصف المسلمين بعباد الرحمن ويرى أن هذا الوصف لم يذكر مصادفةً، بل إنه بين البرنامج الجحمل للدين الجديد وأوصاف المؤمن المثالى، وهذا صحيح، والمقطع الأخير من سورة الفرقان ٢٥: ٦٣ - ٧٧، يشكل وحدة متكاملة، ولكن الله إذا وصف نفسه في الآية ٦٣ بـ (الرحمن) فإنه يصف نفسه باسم الرب في الآيتين ٦٤ و ٦٥ وباسم الحلاله "الله" في الآية ٦٨ مرتين.

إن جومييه ليس مُصرّاً على زعمه كما ذكرنا من قبل، ولكنه يقدم ملاحظاته بوصفها فرضيات للبحث فقط، ويذكر أنه ليس هناك أي تعليم خاص باسم الرحمن، لأنه ليس غافلاً عن ضعف استدلاله.

لكنه يحاول أن يبرز في خاتمة مقاله "إن هذا الاسم قد ورد في مرحلة معينة بقصد الاقتراب من إطار النصرانية واليهودية، واستخدامه كان لبعض الموضوعات المعينة، وأن هناك صوت تعليم جديد بالنسبة لوسط مكة"، ويدعى وجود جماعة

منسوبة إلى تقاليد اليهودية والنصرانية قبل الإسلام في منطقة اليمامة. وأراد بذلك أن يوهم أن هناك احتمال وجود مصدر بشري للقرآن الكريم، وقد تبيّن لنا عدم صحة هذا الزعم، والت نتيجة المستبطة من هذا الرعم الإيهام بأنَّ القرآن من مصدر بشري، وهو أمر لا أصل له.

رأينا أن المؤلف قد بذل مجهوداً كبيراً، وسعينا نحن أكثر منه، لأنَّه أراد أن يتجهز بكل معدات المستشرقين الذين سبقوه خلال أكثر من قرن وأراد أن يمثل الموقف الاستشرافي، مستهدفاً تشكيك الناس في مصدر القرآن دون جدوى، والله الموفق.

### ترتيب سور القرآن الكريم حسب الترُّول:

ترتيب بلاشير	ترتيب نولدكه	الترتيب الإسلامي الأشهر	سور القرآن الكريم بترتيب المصحف العثماني
٤٦	٤٨	٥	١. الفاتحة
٩٣	٩١	٨٧	٢. البقرة
٩٩	٩٧	٨٩	٣. آل عمران
١٠٢	١٠٠	-٩٢	٤. النساء
١١٦	١١٤	١١٢	٥. المائدة
٩١	٨٩	٥٥	٦. الأنعام
٨٩	٨٧	٣٩	٧. الأعراف
٩٧	٩٥	٨٨	٨. الأنفال
١١٥	١١٣	١١٣	٩. التوبية
٨٦	٨٤	٥١	١٠. يونس
٧٧	٧٥	٥٢	١١. هود
٧٩	٧٧	٥٣	١٢. يوسف
٩٢	٩٠	٩٦	١٣. الرعد
٧٨	٧٦	٧٢	١٤. إبراهيم
٥٩	٥٧	٥٤	١٥. الحجر
٧٥	٧٣	٧٠	١٦. النحل
٧٤	٦٧	٥٠	١٧. الإسراء
٧٠	٦٩	٦٩	١٨. الكهف
٦٠	٥٨	٤٤	١٩. مرثى

٥٧	٥٥	٤٥	٢٠. طه
٦٧	٦٥	٧٣	٢١. الأنبياء
١٠٩	١٠٧	١٠٣	٢٢. الحج
٦٦	٦٤	٧٤	٢٣. المؤمنون
١٠٧	١٠٥	١٠٢	٢٤. التور
٦٨	٦٦	٤٢	٢٥. الفرقان
٥٨	٥٦	٤٧	٢٦. الشعراء
٦٩	٦٨	٤٨	٢٧. النحل
٨١	٧٩	٤٩	٢٨. القصص
٨٣	٨١	٨٥	٢٩. العنكبوت
٧٦	٧٤	٨٤	٣٠. الروم
٨٤	٨٢	٥٧	٣١. لقمان
٧١	٧٠	٧٥	٣٢. السجدة
١٠٥	١٠٣	٩٠	٣٣. الأحزاب
٨٧	٨٥	٥٨	٣٤. سيا
٨٨	٨٦	٤٣	٣٥. فاطر
٦٢	٦٠	٤١	٣٦. يس ~
٥٢	٥٠	٥٦	٣٧. الصافات
٦١	٥٩	٣٨	٣٨. ص ~
٨٢	٨٠	٥٩	٣٩. الزمر
٨٠	٧٨	٦٠	٤٠. غافر
٧٢	٧١	٦١	٤١. فصلت
٨٥	٨٣	٦٢	٤٢. الشورى
٦٣	٦١	٦٣	٤٣. الزخرف
٥٥	٥٣	٦٤	٤٤. الدخان
٧٣	٧٢	٦٥	٤٥. الجاثية
٩٠	٨٨	٦٦	٤٦. الأحقاف
٩٨	٩٦	٩٥	٤٧. محمد
١١٠	١٠٨	١١١	٤٨. الفتح
١١٤	١١٢	١٠٦	٤٩. الحجرات
٥٦	٥٤	٣٤	٥٠. ق ~
٤٩	٣٩	٦٧	٥١. النازيات
١٤	١٤	٧٦	٥٢. الطور
٣٠	٢٨	٢٣	٥٣. النجم
٥٠	٤٩	٣٧	٥٤. القمر

٥٣ اسم "الرَّحْمَن" في القرآن الكريم وشُهُبَاتِ الْمُسْتَشْرِقِينَ بِحُوَثٍ وَدَرَاسَاتٍ

٢٨	٤٣	٩٧	٥٥. الرحمن
٢٣	٤١	٤٦	٥٦. الواقعة
١٠١	٩٩	٩٤	٥٧. الحديد
١٠٨	١٠٦	١٠٥	٥٨. الجاذلة
١٠٤	١٠٢	١٠١	٥٩. الحشر
١١٢	١١٠	٩١	٦٠. المتحدة
١٠٠	٩٨	١٠٩	٦١. الصاف
٩٦	٩٤	١١٠	٦٢. الجمعة
١٠٧	١٠٤	١٠٤	٦٣. المنافقون
٩٥	٩٣	١٠٨	٦٤. التغابن
١٠٣	١٠١	٩٩	٦٥. الطلاق
١١١	١٠٩	١٠٧	٦٦. التحرير
٦٥	٦٣	٧٧	٦٧. الملك
٥١	١٨	٢	٦٨. القلم
٢٤	٣٨	٧٨	٦٩. الحاقة
٣٣	٤٢	٧٩	٧٠. المعارج
٥٣	٥١	٧١	٧١. نوح
٦٤	٦٢	٤٠	٧٢. الجن
٣٤	٢٣	٣	٧٣. المزمل
٣٦/٢	٢	٤	٧٤. المدثر
٢٧	٣٦	٣١	٧٥. القيمة
٣٤	٥٢	٩٨	٧٦. الإنسان
٢٥	٣٢	٣٣	٧٧. المرسلات
٢٦	٣٣	٨٠	٧٨. النبا
٢٠	٣١	٨١	٧٩. النازعات
١٧	١٧	١٤	٨٠. عبس
١٨	٢٧	٧	٨١. التكوير
١٥	٢٦	٨٢	٨٢. الإنطمار
٥٣	٣٧	٨٦	٨٣. المطففين
١٩	٢٩	٨٣	٨٤. الانشقاق
٤٣	٢٢	٢٧	٨٥. البروج
٩	١٥	٣٦	٨٦. الطارق
١٦	١٩	٨	٨٧. الأعلى
٢١	٣١	٦٨	٨٨. الغاشية
٤١	٣٥	١٠	٨٩. الفجر

٤٠	١١	٣٥	٩٠. البلد
٧	١٦	٢٦	٩١. الشمس
١٤	١٠	٩	٩٢. الليل
٤	١٣	١١	٩٣. الضحى
٥	١٢	١٢	٩٤. الشرح
١٠	٢٠	٢٨	٩٥. التين
٣٢/١	١	١	٩٦. العلق
٢٩	١٤	٢٥	٩٧. القدر
٩٤	٩٢	١٠٠	٩٨. البينة
١١	٢٥	٩٣	٩٩. الزلة
١٣	٣٠	١٤	١٠٠. العاديات
١٢	٢٤	٣٠	١٠١. القارعة
٣١	٨	١٦	١٠٢. التكاثر
٦	٢١	١٣	١٠٣. العصر
٣٩	٦	٣٢	١٠٤. الهمزة
٤١	٩	١٩	١٠٥. الفيل
٣	٤	٢٥	١٠٦. قريش
٨	٧	١٧	١٠٧. الماعون
٣٨	٥	١٥	١٠٨. الكثير
٤٥	٤٥	١٨	١٠٩. الكافرون
١١٣	١١١	١١٤	١١٠. التصر
٣٧	٩	٦	١١١. المسد
٤٤	٤٤	٢٢	١١٢. الإخلاص
٤٧	٤٦	٢٠	١١٣. الفلق
٤٨	٤٧	٢١	١١٤. الناس